**جامع الزيتونة ودوره في تكوين النخبة الدينية الاصلاحية**

**(علماء وادي سوف أنموذجا)**

**د.خالد بوهند**

**جامعة سيدي بلعباس/الجزائر**

**ملخص باللغة العربية**

يتناول هذا الموضوع ، جامع الزيتونة ودوره في تكوين علماء الدين الإصلاحيين بوادي سوف ، وفي هذا الصدد وقع اختيار بعض العينات منها: أحمد دغمان ، وإبراهيم العوامر السوفي ، وعبد العزيز الشريف ، وحمزة بوكوشة . الجدير بالذكر أن الموضوع مقسم إلى أربعة عناصر بالإضافة إلى المقدمة والاستنتاجات ، العنصر الأول يتناول تعريفا بجامع الزيتونة ، والعنصر الموالي كان التركيز فيه على مشايخ جامع الزيتونة الكبار ودورهم في تكوين النخبة الدينية الاصلاحية بالجزائر عامة ، ووادي سوف تحديدا ، ويتناول العنصر الثالث ، لمحة مقتضبة عن الطلبة الجزائريين بالجامع المنحدرين من وادي سوف ، وفي العنصر الرابع والأخير تناول بالدراسة والتحليل علماء وادي سوف-المذكورين أعلاه-ودورهم الاصلاحي في الجزائر .

**Résumé en français**

Le sujet consiste à étudier la mosquée Zitouna et son rôle dans la formation des Clercs réformistes de Oued-Souf , à cet égard , on a choisi certains des échantillons , notamment : Ahmed Daghman, Ibrahim Awamer , Abdelaziz al-Sharif et Hamza Bekkoucha . Il est à noter que le sujet est divisé en quatre composantes, en plus de l’introduction et la conclusion, le premier élément définie la mosquée Zitouna , le deuxième élément est consacré à l’étude des grands Oulémas-savants de cette prestigieuse mosquée , le troisième est consacré au étudiants algériens de la mosquée issu de Oued-souf , et le troisième élément parle des oulémas réformistes citer ci-dessus issu notamment de Oued-Souf.

**1-مقدمة**

يتناول موضوع مداخلتنا في الملتقى الدولي حول : "التواصل بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس 1881-1954" ، جامع الزيتونة العامر برجاله ، ودورهم في تكوين ثلة من علماء الدين الإصلاحيين بالجزائر ، وفي هذا الصدد وقع اختيارنا على عينات من العلماء ، المنحدرين من وادي سوف تحديدا ، نذكر منهم على سبيل المثال : أحمد دغمان ، وإبراهيم العوامر السوفي ، وعبد العزيز الشريف ، وحمزة بوكوشة ، مستندين في ذلك على أرشيف ما وراء البحار بآكس أون بروفونس ، وبعض المراجع المتخصصة و العامة .

ويبقى الإشكال المطروح لمداخلتنا ، وهو ما مدى تأثير جامع الزيتونة على علمائنا ؟ أو بالأحرى ما علاقة هذا الجامع بتشكل الحركة الإصلاحية في الجزائر عموما وبوادي سوف خصوصا ؟ وهل كان لعلماء سوف الزيتونيين نشاط في تونس ؟ ما هي مساهمات علماء وادي سوف في الحركة الإصلاحية بالجزائر ؟

للإجابة على هذه التساؤلات قسمنا المداخلة إلى أربعة عناصر ، حاولنا في العنصر الأول أن نُعرف بجامع الزيتونة ، ونُبرز مكانته ودوره العلمي ، من حيث المستوى ، والمناهج التعليمية المطبقة فيه ، وتحدثنا في العنصر الموالي عن مشايخ جامع الزيتونة الكبار ، نظرا لتأثيراتهم أو علاقتهم المباشرة في تكوين النخبة الدينية الاصلاحية بالجزائر ، وفي العنصر الثالث ، أعطينا لمحة مقتضبة عن الطلبة الجزائريين بالجامع ، أعدادهم ، وحالتهم الاجتماعية هناك ، واجتهدنا في البحث عن أسماء الطلبة المنحدرين من وادي سوف ، الملتحقين بالجامع ، وفي العنصر الرابع والأخير تناولنا بالدراسة والتحليل علماء وادي سوف-المذكورين أعلاه-ودورهم الاصلاحي في الجزائر ، وختمنا المداخلة باستنتاجات .

**2-التعريف بجامع الزيتونة**

يعتبر جامع الزيتونة الذي أُسس في العصر الأموي سنة 114 ھ/732 م ، أقدم مسجد/جامعة في المغرب الاسلامي ويليه جامع القرويين بالمغرب الأقصى . كان مسجد القيروان في العهد الأغلبي من أهم مراكز اشعاع المذهب المالكي ، فكان العلماء والطلاب يقصدونه من مختلف أطراف المغرب الأوسط والمغرب الأقصى ، ولا سيما في عصر الامام سحنون . وهذا الدور هو الذي ورثه جامع الزيتونة في غضون القرون التالية (1).

فيما يخص التعليم ، مستواه ومناهجه بجامع الزيتونة ، خلال عهد الحماية الفرنسية (1881-1955) ، ذكر الشيخ رشيد رضا-نقلا عن أبو القاسم سعد الله- أن الأزهر ظل متخلفا بالنسبة للزيتونة الذي دخله الإصلاح في برنامجه . ويضيف قائلا أن الشيخ محمد عبده كتب بعد رجوعه من رحلته الثانية إلى تونس، مذكرات عن حال التعليم في الزيتونة ووعد رشيد رضا بإعطائه تلك المذكرات ليعقد مقارنة بين الأزهر و الزيتونة . وقد حبًذ رشيد رضا إنشاء الخلدونية وإدخال العلوم الرياضية وغيرها في التعليم الزيتوني . كما حبًذ إنشاء جمعية الطلبة الزيتونيين التي كانت برئاسة الشيخ محمد النخلي(2) .

و حسب التحقيق الذي أعدته مصلحة العلاقات الشمال أفريقية (S.L.N.A) ، حول الطُلبة المتخرجين من جامع الزيتونة ، 35 منهم ينحدرون من المناطق الجنوبية الشرقية ، وجنوب القطاع القسنطيني ، و35 آخرين من بقية القطاع ، وعدد ضئيل من منطقة بجاية ، و 20 منهم من القطاع الجزائري ، و 10 من القطاع الوهراني ، حيث تلقوا جميعا تعليما زيتونيا يتوزع على

أطوار ثلاثة : الأهلية : وهو بمثابة تعليم ابتدائي ، مدته أربع سنوات ، ست سنوات على الأكثر ، التأهيل(التطويع) : عبارة عن تعليم ثانوي ، مدته ثلاثة سنوات ، و العالمية : أو التعليم العالي ، ومدته ثلاثة سنوات .

ويضيف التحقيق أن الطالب الجزائري الذي يود إتمام دراسته قصد الحصول على الشهادات الثلاثة ، لا بد له أن يتم عشر سنوات على الأقل بجامع الزيتونة ، أو أربع سنوات بملحقة هذا الأخير ، وهي معهد ابن باديس (ذو التعليم الثانوي)(3) أو بالمدرسة الكتانية ، وكلاهما بقسنطينة ، ثم يكمل ست سنوات بجامع الزيتونة . كما يوجد شروط للالتحاق بجامع الزيتونة منها : أن لا يقل عمر الطالب 12 سنة ، طلب خطي ممضي من قبل ولي أمر الطالب ، وموجه إلى ادارة الجامع ، أن يحسن الطالب القراءة والكتابة ، أن يكون حافظا للقرآن الكريم ، أو جزء منه .

أما المواد المدرًسة-حسب التحقيق دائما(4)-تتوزع على الأطوار التعليمية الثلاثة ، كما يوضحها الجدول التالي :

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| الأهلية | التأهيل(التطويع) | العالمية |
| عقيدة  تلاوة قرآنية  حديث  قانون  ميراث  تربية خلقية  نحو  بناء لغوي(مورفولوجيا)  بلاغة  أدب  كتابة  إملاء  حساب  هندسة  -تاريخ  جغرافيا  نظافة  ثقافة عامة | عقيدة  حديث  قانون  ميراث  تربية خلقية  سيرة نبوية  نحو  بلاغة  عروض  علم مفردات اللغة  أدب  منطق وفن الجدل  تاريخ عام  حساب  علم الفلك وعلم التوقيت  هندسة  ثقافة عامة | تفسير  علم التربية  حديث  عقيدة  منهجية قانونية  تشريع  أحكام شرعية  نحو  بلاغة  علم مفردات اللغة  أدب  تاريخ |

يتضح من خلال الجدول مدى كثافة وتنوع المواد المدرًسة بجامع الزيتونة ، ولا سيما في الطورين الأول والثاني(أي الأهلية والتأهيل) ، وهذا إن دل على شيء ، فإنما يدل على نوعية التكوين ومستواه ، قصد تخريج رجال دين أكفاء(قضاة-مفتين-أئمة) ، ومصلحين اجتماعيين ، وسياسيين . ومن الأهمية بمكان ، أن هذا البرنامج التعليمي المسطر بالجامع ، كان يسهر على انجاحه علماء أجلاء ، ذائعي الصيت . فما مدى تأثيرهم على الطلبة الجزائريين ؟.

**3-أُطر جامع الزيتونة**

من بين مشايخ أو ما أطلقنا عليه ﺑ "أُطر جامع الزيتونة" ، القاضي و العلامة محمد الطاهر بن عاشور(1879-1973)(5) ، حيث ورد مقال عنه للشيخ محمد البشير الإبراهيمي بجريدة البصائر هذا مقتطف منه : « الأستاذ الأكبر...إمام متبحر في العلوم الإسلامية ، مستقل في الاستدلال لها ، واسع الثراء من كنوزها ، فسيح الذرع بتحملها ، نافذ البصيرة في معقولها ، وافر الاطلاع على المنقول منها ، أقرأ وأفاد ، وتخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي ، وتفرد بالتوسع والتجديد لفروع من العلم ضيقها المنهاج الزيتوني(6) ، وأبلاها الركود الذهني...»(7) . من

الجدير بالذكر أن الطاهر بن عاشور ، كان أحد أساتذة عبد الحميد بن باديس ، ومع ذلك وقعت بين الشيخين خصومة في الثلاثينات ، حول أحد الموضوعات الدينية ، وتبادل فيها الشيخان الردود على صفحات الجرائد التونسية والجزائرية (8).

ويليه ابنه الشيخ محمد الفاضل بن عاشور(1909-1970) ، درًس بالمعهد الصادقي وبجامع الزيتونة ، ، تخرج على يديه أجيال عديدة من الطلبة (9) . تتحدث التقارير الفرنسية، أن الشيخ كان رائدا من رواد الحركة الوطنية في تونس ، كان رئيسا عاملا أو شرفيا لعدة جمعيات . و خطيبا بارزا، وعالما كبيرا، ولديه السلطة والمقدرة على التأثير على القلوب. عندما يتكلم يخترق النفوس بطريقة عجيبة ، وهو ما جلب اليه غضب الادارة التونسية . ويعتقد بعض الملاحظين المتخصصين في المجال السياسي، أنه كان وراء نشاط الشيخ ابن عاشور طموحات سياسية. لقد كان يود الظفر بمنصب وزير التربية الوطنية ، خلال الاصلاحات التي كانت تود الحكومة الفرنسية القيام بها على الادارة التونسية .

كما وجد في تونس ، مجموعة متكونة من صحافيين ، ومشايخ جامع الزيتونة ، منخرطين في الحزب الدستوري التونسي الحر ، وغير منجذبين للباي الذي كان يتطلع بدوره إلى تأسيس حزب جديد موازي للحركة الشعبية التونسية ، هذا الحزب يعمل تحت إمرة الباي و المقيمية من أجل تثبيت منصب المنصف باي الموجود بالمنفى والوفاق مع الحكومة الفرنسية بباريس من أجل الاصلاحات والحكم الذاتي لتونس .

لقد بدأت المجموعة المذكورة تستجلب إليها الجماهير التونسية بشتى الطرق ، ، وعندما تتخمر الأفكار في العقول ويتقبلها الجميع ، تقوم هذه المجموعة بتشكيل حزبها لنشر أفكاره . من ضمن المجموعة وجد عائلة النيفر المعروفة ، وسي علي بن أبي الضياف ، (قايد سابق ومدير جريدة البيان المدعم من قبل الباي) ، والشادلي القصطالي (مدير جريدة النهضة) ، وشخصيات أخرى بارزة ، على غرار الشيخ الشبريزي بن عزوز(كذا) ، وشيخ الطريقة الرحمانية بتونس(10) .

لم تقتصر قائمة مشيخة الزيتونة على هذين المعلمين فحسب ، بل وجد مشايخ زيتونيين كثيرين ، وكان أول اتصال للبشير الابراهيمي بتونس وبالزيتونة منذ نعومة أظفاره إبان إقامة أسرته بالمدينة المنورة أين تتلمذ إلى أحد أقطاب هذا الجامع ، وهو الشيخ محمد العزيز الوزير الذي رعى نشأته العلمية الأولى ، وتعرف من خلاله على مكانة الزيتونة ، وعن طريق هذا العالم توثقت صلته بها وأصبح من المفاخرين بفضلها رغم عدم تخرجه منها (11).

**4-طلبة وادي سوف بجامع الزيتونة**

لقد كانت تونس مقصد المهاجرين الجزائريين، وهي بوابة الشرق لهم . وإذا كانت الهجرة نحو المغرب معظمها من النواحي الغربية فان الهجرة نحو تونس كانت في معظمها من النواحي الشرقية ، بما في ذلك قسنطينة وبجاية ووادي سوف وغيرها . ووجد الجزائريون في جامع الزيتونة موردا عذبا في الوقت الذي ضاقت فيه بلادهم عن معلم حضاري مثله . ولكن إلى أي مدى كان الطلبة الجزائريون يقصدون الزيتونة قبل احتلال تونس سنة 1881 . والظاهر أن دراستهم فيه كانت محدودة قبل 1900 . ويعتبر عبد الحميد بن باديس الذي توجه إلى تونس سنة 1908 من أوائل من فتح هذا العهد الجديد مع جامع الزيتونة (12).

لقد اختلفت التقارير الفرنسية حول احصاء عدد الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة من فترة لأخرى ، فتقرير مركز الاعلام والدراسات (C.I.E) ، يحصي 300 طالب جزائري ، 50 منهم سجلوا سنة 1938 (13)، وفي رسالة وجهها الحاكم العام للجزائر إلى والي قسنطينة مؤرخة في 9 أكتوبر 1946 ورد فيها : « ...لاحظنا هذه السنة في قسنطينة ، نزوح كبير للشباب الجزائري المسلم نحو جامع الزيتونة والمعهد الصادقي بتونس...»(14) ، وحسب تقرير للشرطة مؤرخ في 30 نوفمبر 1951 ، أن عدد الطلبة الجزائريين بجامع الزيتونة ، قدر ﺑأكثر من 1.200 طالب (15) .

ومهما يكن من أمر فان الطلبة الجزائريين الملتحقين بجامع الزيتونة بطريقة نظامية أو حرة ، يتلقون دروسهم مجانا ، وهم ليسوا مجبرين للحضور يوميا ، وكانت الدروس تسير عاديا من بداية شهر أكتوبر إلى نهاية شهر جوان من كل عام . وكان الطلبة عند حلولهم تونس ، يقيمون في الزوايا القديمة للمدينة ، أو في أماكن أخرى كالحُبُس المخصصة للطلبة المحتاجين ، حيث تقدم لهم اعانات مادية (16) ، أو في المدرسة الواقعة بشارع تربة الباي(17) .

ومن طلبة وادي سوف الأوائل الذين زاولوا دروسهم بجامع الزيتونة خلال القرن التاسع عشر ، وجدنا أحمد بن محمد دغمان ، ولد ونشأ بقمار (وادي سوف) . وحفظ القرآن فيها ودرس بعض العلوم . ثم انتقل إلى الجريد التونسي ، ولعله قد درس في زاوية نفطة الرحمانية ، شأن أبناء تلك المنطقة في القرن التاسع عشر الميلادي . ومن هناك توجه إلى جامع الزيتونة حيث استكمل دراسته . وقد يكون ذلك أوائل الاحتلال الفرنسي لوادي سوف الذي حدث سنة 1854 (18).

وهناك إبراهيم بن محمد الساسي بن إبراهيم بن محمد بن عامر ، من مواليد 1881 بمدينة الوادي من أسرة متوسطة الحال تدعى "العوامر" أما والده محمد فقد كان تاجر يبيع الصوف ببلدة قمار، وكان يصحب ابنه إبراهيم للمتجر ليهيئه للتجارة ويستعين به غير أن الأقدار قد وجهته توجيها آخر حيث أظهر الصبي ميولا للعلم والتعليم ، فحفظ نصيبا من القرآن الكريم في صباه ، وتلقى دروسا أولية في الأجرومية وابن عاشر ، وبعض مبادئ الفقه والنحو والصرف والأدب على يد شيوخ المنطقة .

ولما بلغ أشده تجلت رغبته في الاغتراف من مناهل المعرفة ، فارتحل إلى الجريد بالجنوب التونسي لأخذ عن كبار مشايخها ، ثم انتقل إلى تونس العاصمة لمواصلة دراسته بجامع الزيتونة ، وتتلمذ على أشهر مشايخه كالنخلي ، الذي تأثر به أيضا عبد الحميد بن باديس ، والشيخ الأخضر بن الحسين ، والشيخ الحسن بن يوسف وغيرهم (19).

وعبد العزيز الشريف ابن الشيخ محمد الهاشمي بن إبراهيم بن أحمد الشريف ، ولد بزاوية والده –القادرية-بقرية البياضة (وادي سوف) سنة 1898 ، حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة ، ثم غادر الوادي سنة 1913 ليلتحق بجامع الزيتونة بتونس لمزاولة تعليمه ، فتحصل على شهادة التأهيل أو التطويع(20) ، التي تعادل اليوم شهادة البكالوريا .

وحمزة بوكوشة ، الذي ولد بوادي سوف سنة 1907 ، انتقل في الخامسة من عمره إلى بسكرة ، حيث كان أبوه يمارس التجارة ، وهناك تعلم مبادئ اللغة والفقه ، وحفظ القرآن الكريم ، ولما بلغ سن السابعة عشر من عمره توجه إلى تونس ، قصد مزاولة دراسته العليا بجامع الزيتونة ، وتخرج سنة 1930 (21).

**5-دور علماء سوف الاصلاحي**

أما دور طلبة وادي سوف المتخرجين من جامع الزيتونة ، فقد اختلفت رؤاهم وطرقهم الإصلاحية ، وأن منهم من بقي في تونس على غرار أحمد دغمان الذي علًم بالكاف ، وهي أيضا مدينة تونسية حدودية ، وفيها الطرق الصوفية ، وأبرزها عندئذ القادرية . ثم رجع إلى قمار وتولى القضاء في الزاوية التجانية هناك حيث بقي أربع عشرة سنة ، ولعله كان يعلم أيضا أبناء الزاوية إذ كانت شؤون القضاء في قمار ليست ثقيلة . وربما كانت علاقة الزاوية بالسلطة الفرنسية خلال الثمانينات من القرن 19م هي التي رشحته أيضا لتولي القضاء بالوادي لدى المكتب العربي الذي يسير شؤون المنطقة كلها . ومهما كان الأمر فقد وجدنا أحمد دغمان قاضيا بالوادي سنوات 1876-1878 .

وكانت بين الشيخ أحمد دغمان والمكي بن عزوز مراسلات وتبادل أفكار . ولعله قد تعرف عليه في زاوية نفطة العزوزية حيث كان الشيخ المكي مدرسا بها قبل أن يرحل إلى تونس ثم المشرق . ولم يساهم الشيخ دغمان في ميدان القضاء فقط بل في الأدب والشعر ، وله بعض التقاييد . ولعل أكبر مساهمة له هي تخريج عدد من المتعلمين إذ كان يُدرس للطلبة أثناء ولايته القضاء . وكان في وقته قد اشتهر بالعلم والصلاح . توفي الشيخ أحمد دغمان سنة 1890 (22).

وكان إبراهيم العوامر السوفي بعد أن أتم دراسته بجامع الزيتونة قد عاد إلى الوادي وتوظف في سلك القضاء ، فاشتغل بالمحكمة الشرعية بالوادي برتبة باش عدل . وبرز الشيخ إبراهيم العوامر على ساحة الوادي كمصلح ومرشد يدافع عن حمى الدين واللغة العربية والفضيلة ، وجمع الناس حوله في مسامرات دينية ودروس التفسير أو شرح سيدي خليل ، وذلك يوميا بعد صلاة المغرب بجامع النخلة بحي أولاد أحمد بالوادي .

وما يكاد الشيخ أن ينتهي من التدريس في المسجد حتى ينتقل بعد كل عشاء إلى المنزل المخصص للندوات والسهرات مع الاصدقاء والرواد للمسامرة وقراءة الصحف والمجلات وتوعية وإيقاظ ضمائرهم بتتبع أحداث وأخبار ما يدور حولهم . ونتيجة لمواقفه المناهضة للاحتلال ، نفي الشيخ بعد الحرب العالمية الأولى من الوادي إلى بلدة أولاد جلال ، وبعد أن مكث مدة في الزيبان ، وتتلمذ عليه العديد من الطلاب أشهرهم نعيم النعيمي ، سعى الشيخ العوامر لدى السلطات الفرنسية للعودة إلى الوادي ولكن سمحت له بالانتقال إلى مدينة توقرت باعتبارها قريبة من مسقط رأسه ، ووجد في صديقه وجاره بالوادي العلامة الطاهر العبيدي خير أنيس ونشاطا معا في حقل العلم والمعرفة ، مما جعل ابن باديس يقدم لهما الدعوة لحضور حفل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931 . ولكنهما اعتذرا ، واكتفيا بحضور تلامذتهم كحمزة بوكوشة ونعيم النعيمي وغيرهما . وبعد أن عاش فترة لا بأس بها في تقرت أصيب الشيخ بمرض ، رجع على إثره إلى مدينة الوادي حيث توفي فيها سنة 1934(23) .

أما الشيخ عبد العزيز الشريف ، فإنه بعد عودته إلى الوادي سنة 1923 ، تقلد مشيخة زاوية أبيه القادرية . و في سنة 1936 أدى الشيخ عبد العزيز فريضة الحج ، فأثرت فيه الأحداث الجارية بالمشرق ، وعند عودته بدأ يقترب من أفكار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ليتحول من الطُرقية إلى الاصلاحية . استقر الشيخ عبد العزيز بتونس العاصمة ، وحين اندلاع الثورة الجزائرية في أول نوفمبر 1954 ، كان من المؤيدين لها ، ودعمها بأمواله . توفي الشيخ عبد العزيز في تونس سنة 1965 (24).

وكان الطالب الزيتوني حمزة بوكوشة ، المتخرج كما ذكرنا من قبل سنة 1930 ، قد عاد الى الجزائر مترددا بين الوادي وبسكرة ، ومما أثر في عقله ونفسه تعرفه في سنة 1927 في مدينة بسكرة على الشيخ الطيب العقبي ، الذي كان يقود من هناك معركة ضد الجمود والبدع والخرافات . لقد حضر الشيخ حمزة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931 ، وصار عضوا عاملا فيها منذ سنة 1932 ، إلى أن انتخب في مكتبها الاداري سنة 1938(25) .

ربط الشيخ حمزة بوكوشة علاقات صداقة مع تونسيين ، خلال إقامته بها لما كان ما يزال طالبا بجامع الزيتونة ، على غرار محمود بورقيبة (1909-1966) ، وهو شاعر تونسي ساهم في تحرير عدد من الصحف التي كان منها جريدة الوزير التونسية ، والتي كان الشيخ حمزة ينشر بها مقالاته ، ويبدو من خلال كتاباته ، أن أول مهنة باشر بها بعد التخرج ، هي التدريس بمدرسة الاصلاح الكائنة ببلدة دلًس (26) ، ويتطرق الأرشيف الفرنسي إلى أن : « حمزة بوكوشة المتخرج مؤخرا من الزيتونة ، يمارس حاليا مدرس حر بقسنطينة . وهو أحد دعاة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وقد نشر في جريدة البصائر الصادرة بتاريخ 19 مارس 1937 ، مقالا هو نفسه الذي نشره بجريدة الشُعبة ، التي خلقها بالوادي مسقط رأسه » (27).

وكبقية زملائه وأصدقائه المشايخ بالجمعية ، الذي شكل نشاطهم الدؤوب خلية نحل ، لا تكل ولا تمل ، من الترحال هنا وهناك في المراكز والمدن عبر القطر الجزائري ، لنشر الدعوة الاصلاحية ، وتدشين النوادي والجمعيات والمدارس والمساجد ، لنشر التعليم العربي الاسلامي (الحر) ، تردد الشيخ حمزة على مدينة البويرة ما بين سنوات 1936-1937 ، بهدف جمع الاشتراكات لصالح جريدته الخاصة ، ومحاولة خلق فرع للجمعية بالمدينة ، والاتصال بسكان المدينة بمقهى سيدهم محمد (مستشار بلدي) للحديث عن المؤتمر الاسلامي وعلاقته بمشروع فيوليت(28) .

كما حل الشيخ حمزة بمدينة وهران شهر ماي 1937 ، قصد المساهمة في خلق جريدة المغرب العربي (29) ، التي صدر العدد الأول منها بتاريخ 21 ماي ، وتوقفت عن الصدور في شهر جوان من نفس السنة ، وهي جريدة أسبوعية كانت تصدر باللغة العربية ، تحت شعار "جريدة الدفاع عن الشبيبة المسلمة" ، صاحبها ومديرها السياسي هو بلة محمود ، ورئيس تحريرها حمزة بوكوشة ، ومعاونيها هما الشيخين محمد البشير الابراهيمي ومحمد الهادي السنوسي ، وتسحب أعدادها بمطبعة ماشادو (33 شارع كافينياك بوهران) ، بمعدل 2000 نسخة في الأسبوع ، أما محتواها فيتضمن مواضيع سياسية واجتماعية وأدبية(30) .

في سنة 1938 انتدبته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للعمل في فرنسا ، فاستقر بمدينة ليون ، مدعما جهود الشيخ الفضيل الورتلاني في توعية المغتربين وتعليمهم مبادئ دينهم . وقبيل الحرب العالمية الثانية رجع الشيخ حمزة إلى الجزائر ، وقد حاول الشيخ الطيب العقبي أن يضمه رفقة محمد العيد خليفة وفرحات الدراجي إلى جريدته "الإصلاح" التي أعاد اصدارها ، فرفضوا جميعا التعاون معه (31).

وعندما أُخرج الشيخ البشير الابراهيمي من الاقامة الجبرية في آفلو ، وبُعث نشاط الجمعية ، كان الشيخ حمزة من أقرب وأخلص العاملين معه ، خاصة بعدما أعيد نشر جريدة البصائر ، حيث كان الشيخ حمزة وأحمد سحنون وباعزيز بن عمر أبرز القائمين عليها ، المساعدين لرئيسها الشيخ الابراهيمي . وفي سنة 1956 كان يساعد الشيخ العربي التبسي في التدريس بمدرسة الجمعية في حي بلكور إلى أن اعتقل سنة 1957 . توفي الشيخ حمزة بوكوشة سنة 1994(32) .

**6-استنتاجات**

نستنتج مما سبق ذكره أن جامع الزيتونة كان من ضمن العوامل الحاسمة في تكوين النخبة الاصلاحية (علماء الدين) ، وذلك بالقطر الجزائري عموما ، وبوادي سوف خصوصا ، هذه النخبة التي جعلت من "السلفية" منهاجا لها لإصلاح الأوضاع الدينية والاجتماعية المتردية في الجزائر ، لا سيما خلال فترة النصف الأول من القرن العشرين ، وعندما نتحدث عن جامع الزيتونة ، إنما نتحدث أيضا عن رجالاته من العلماء الأجلاء المصلحين والمجددين ، الذين كان لهم تأثير وبدرجات متفاوتة على الطلبة الجزائريين ، في فترة الحماية الفرنسية على تونس .

وعلى الرغم من صعوبة الموضوع ، من حيث أنه يندرج ضمن التاريخ المحلي ، الذي تقل فيه المصادر المتخصصة من شهادات ومذكرات و أدب الرحلات ، ونحن ندرك في اللحظة التي نسجل فيها هذه الاستنتاجات ، أننا لم نوفي الموضوع كل حقه ، باعتبار أننا اكتفينا-حسب ما توفر لدينا من معلومات-على بعض النماذج من العلماء الذين من المؤكد أن وادي سوف كانت زاخرة بهم ، وحسبنا من خلال هذا العمل المتواضع ، قد ساهمنا في وضع لبنة في التعريف بأعلام وادي سوف ، وبالتواصل الثقافي بين الجنوب الشرقي الجزائري وتونس في الفترة ما بين 1881 و 1954 .

**-الهوامش**

(1)-اسماعيل العربي ، حاضر الدول الاسلامية في القارة الافريقية . المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص.84.

(2)-أبو القاسم سعد الله ، بحوث في التاريخ العربي الاسلامي . دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2003 ، ص.112.

(3)-تأسس معهد ابن باديس في قسنطينة سنة 1947 ، كان فرعا من فروع الزيتونة ، ويتبع في جميع برامجه وامتحاناته ودروسه المناهج المقررة في الجامع ، ويشرف على امتحاناته السنوية ثلة من علماء الزيتونة .

(4)- A.N.O.M , FR CAOM 93/4232-93/4233, Service des liaisons Nord-Africaines , Enquête sur la Zitouna .

(5)-الصادق الزمرلي ، أعلام تونسيون . (ترجمة : حمادي الساحلي) . دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1986 ، ص.361.

(6)-في حقيقة الأمر يعود آخر اصلاح لمنظومة التعليم الزيتوني ، إلى عهد الجنرال ورجل الدولة خير الدين(1822-1890) .

(7)-جريدة البصائر ، عدد 44 ، سنة 1948 .

(8)-محمد صالح الجابري ، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس . دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 1990 ، ص.39.

(9)-الصادق الزمرلي ، المرجع السابق ، ص.ص.349-352.

(10)-A.N.O.M , FR CAOM 93/4232-93/4233 , Impression d’un musulman très versé dans les milieux Oulémas , sur la situation actuelle à Tunis , Constantine , le 11 mars 1947 .

(11)-محمد صالح الجابري ، المرجع السابق ، ص.35.

(12)-أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي .ج5 . دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 ، ص.ص.489-491.

(13)-A.N.O.M, 5.I.53 , Centre d’informations et d’études , Constantine , le 21 octobre 1938 .

(14)-A.N.O.M, FR CAOM 93/4232-93/4233, Lettre du gouverneur général de l’Algérie au préfet de Constantine, Alger, le 9 octobre 1946 .

(15)-Ibid, Rapport de police (PRG) , Constantine , le 30 novembre 1951 .

(16)-خالد بوهند ، النُخب الجزائرية 1892-1942 . رسالة دكتوراه ، جامعة سيدي بلعباس ، كلية الآداب والعلوم الانسانية ، قسم التاريخ ، 2010-2011 ، ص.263.

(17)-A.N.O.M, FR CAOM 93/4232-93/4233, Lettre du directeur des services de sécurité au préfet de Constantine, Tunis , le 11 décembre 1946 .

(18)-أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي . ج4. دار البصائر للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2009 ، ص.498.

(19)-ابراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر . ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1999 ، ص.210.

(20)-نفس المرجع ، ص.221-223.

(21)-محمد الهادي الحسني ، « من خواطر حمزة » . جريدة الشروق ، عدد 3996 ، الخميس 25 أفريل 2013 ، ص.17.

(22)-أبو القاسم سعد الله ، المرجع السابق ، ص.ص.498-499.

(23)-ابراهيم مياسي ، المرجع السابق ، ص.ص.210-214.

(24)-نفس المرجع ، ص.ص.223-239.

(25)-محمد الهادي الحسني ، نفس المقال .

(26)-محمد صالح الجابري ، رحلات جزائرية . دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، 2001 ، ص.ص.141-142.

(27)-A.N.O.M, 2.I.39, dossier : activité Ouléma 1937 .

(28)-Ibid, rapport de police , Bouira , le 27 mai 1937.

(29)-A.N.O.M, 5.I.53 , notes sur Hamza Bekkoucha .

(30)-خالد بوهند ، نفس الرسالة ، ص.282.

(31)-الأسباب الحقيقية التي جعلت الشيوخ : حمزة بوكوشة ومحمد العيد خليفة وفرحات الدراجي يرفضون التعاون مع الشيخ الطيب العقبي ، واردة بالتفصيل في رسالتنا للدكتوراه .

(32)-محمد الهادي الحسني ، نفس المقال .